

■ عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : بعث رسول الله ﷺ سرية إلى حثعم فاعتصم ناس منهم بالسجود ، فاسرع فيهم القتل ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأمر لهم بنصف العقل . وقال : أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين . قالوا يا رسول الله لي ؟ قال : لا تراءى ناراهما ...

أخرجه أبو داود في السنن آخر كتاب الجهاد ، وذكر أن جماعة روهه عرسلاً ، وقال المنذري في مختصره : أخرجه الترمذي والنسائي ، وظاهر من السياق سبب رويده ، وذلك أن سرية لرسول الله ﷺ أغارت على مشركين من حثعم ، وكان فيهم بعض المسلمين ، فلما وقع السيف في القوم لجأ هؤلاء إلى الصلاة لينفذوا أنفسهم من القتل بحق الإسلام ، ولكن ذلك لم يتحقق إذ أخذتهم سيوف المسلمين ، ولما بلغ ذلك رسول الله ﷺ لم ينكر على جنوده فعلهم ، بل انكر على أولئك المسلمين إقامتهم بين المشركين حتى أخذوا بحريرتهم ، ولذلك حكم لهم بنصف العقل - الدية - لأنهم كما يقول المصنف اعلموا على أنفسهم ، فكأنوا كمن هلك بحماية نفسه وجنابته غيره ، فسقطت حصة جنابته من الدية .

وفي هذا الحديث الشريف عدد من الأحكام الشرعية لا تحق للمسلم عن معرفتها والتفطن إلى مراعاتها القريبة والبعيدة ، بل إن حاجتنا إليها هذه الأيام أكبر من أن يحاط بها في مقال أو بحث ، لذلك سنقف منها على بعض الجوانب شديدة المساس بحياة المسلمين في مرحلتهم الراهنة ■

وقد روي عن عدة وجوه أن الآية نزلت في قوم من أهل مكة ، كانوا يستخفون بإسلامهم ، فأخرجهم المشركين إلى بدر معهم فأصيب بعضهم ، فقال المسلمون : كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرموا فاستغفروا لهم ، فنزلت الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهرائنا المشركين وهو قادر على الهجرة ، وليس متمسكاً من إقامة الدين ، فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع .

وقد وصف الله هؤلاء بظلمهم أنفسهم لمجرد تظلمهم من مفارقة البيعة الكافرة مع توافر القدرة لديهم على الخروج ، وإنما أتوا البقاء تهرباً من مسؤولية التعاون مع المؤمنين ، أو تطلباً لمصلحة شخصية يشخون فواتها ونحو ذلك من ضروب المعاذير ..

ويحاول هؤلاء الاعتذار للملائكة بما يرضعون من الضعف ، ولكن الملائكة يرفضون اعتذارهم بما كان أمامهم من سعة في الأرض لم يجربوا الاستقامة منها للفرار بدينهم .. ثم يأتي حكم الله عليهم بالصبر المقرر للظالمين : ﴿ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ .

وروي النسائي من حديث بهز بن حكيم عن جده أن رسول الله ﷺ قال له : لا يقبل الله من

أول ما يوجهنا مما نحن بصدده ذلك التذير المخيف في إعلانه ﷺ برامته من كل مسلم يقيم بين المشركين وهو قادر على مفارقتهم ، ونحن لا نعلم سبب وجود هؤلاء المسلمين مع أولئك المشركين أثناء الغارة : ربما كانوا أسارى لديهم ، وربما كانوا تجاراً نزلوا بهم .. ومهما يكن ذلك السبب فالتكبر لاحق بهم لأنهم لم يبذلوا وسعهم للتخلص من جوارهم ..

ثم يأتي تعليقه ﷺ لذلك التشديد في التحذير من مخالفة المشركين بقوله : لا تراءى ناراهما ، . وقد تعددت أقوال العلماء في المراد من تراءى النارين ، ولعل أقربها إلى الفهم العام أن على المسلم أن يبالي في مباحة المشركين حتى لا يرى كل من الفريقين نار الآخر ، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد أن يكون للتعارب بينهما الوان من المحاذير لا يعذر المسلم بجهلها أو التهورين من شأنها ..

وقد برز هذا المعنى جلياً في قوله تعالى في سورة النساء : ﴿ إِنْ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي النَّفْسِ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا لَأَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (النساء : ٩٧) .

كيفية

ببدا

و

كيفية

تقول

وما السبيل إلى

قد يقول قائل : كان ذلك الفصل بين المسلمين وغيرهم في صدر الإسلام من الضرورات الحاسمة ، إذ كانت الأمة حديثة العهد بالخروج من متاهات الجاهلية ، فلا منوطة للقيادة عن تأنيها ضد كل ما هو ميان لروح الإسلام ، ومن ذلك التوكيد على امتيازها ، والتحذير من التفريط بهذا الامتياز الرباني .. ولكن استمرار الاعتزال بعد رسوخ المعاني الإسلامية مناف لطابع الأشياء ، إذ يستحيل على الفرد ، فكيف بالأمة ، الانفصال الدائم عن الجماعات الإنسانية الأخرى .. فلم يبق إلا أن يكون لهذا الفصل صفة التزجيت على قدر الحاجة .

والحق أن الأمر باجتنب معايشة المشركين من العزائم التي لا رخصة فيها .. كما يتضح من القرآن والسنة .. وذلك لتعلق الموضوع بقضية الكيان الإسلامي ذاته ، ذلك الكيان المتقود بخصائصه وحضارته ومسؤوليته نحو الحياة والانسان .

يقول ربنا تبارك وتعالى في وظيفة المؤمنين : ﴿ وَتَذَكَّرَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة : ١٤٣) .

ويقول سبحانه في تحديد هذه المسؤولية ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ (المائدة : ٤٨) .

فالمجتمع الإسلامي هو الذي وقع عليه الاختيار الأعلى ليكون شهيده على عباده ، وإنما جعل الرسول شهيدهاً عليه تبياناً لجلال المعمة التي شرف بها ، فهو من أجل ذلك جد حريص على تحقيق مهمته على الوجه الأكمل ، تديراً للتشريف الإلهي ، وخطأ على مرضاة الله سبحانه وتعالى . ومن فضل الله على هذا المجتمع أن زوده بالوثيقة العاصمة التي تضيء له السبيل لتحقيق مهامه في التعامل مع الخلق ، فهي الحق الثابت الذي به يعرف الصحيح من الفاسد ، والأصيل من الدخيل ، وما خالقه من قول أو عمل فهو حصيلة الأهواء الصارفة عن الحق .

ومن هنا تتحدد صلة المسلم بالناس ، على أنها صلة تبليغ وشهادة وتصحيح ، فلا بد له والحالة

بذلك صيانة المسلمين من الخلطة التي تنقض المنافذ لتسرب الأخلاق الأجنبية إلى طبائع المسلمين ، الذين يعتبر الفارق استبقاء سلامتهم النظرية من أهم أسباب التميز عن أولئك الذين أقسدهم القرف ، واستندلتهم الشهوات ..

لقد كان الفارق وإخاونه من اهل الصف الأول يدركون من خلال الرؤية الإسلامية أن مهمة المسلمين بيزاء العالم القديم الذي يواجهونه ، مهمة الطبيب الذي يواجه مجتمعاً يحتاجه وباء عارم جارف ، وليس لهذا المجتمع من معين بعد الله سواء ، فأزله وإجابه إذن هو الحفاظ على نفسه من سريان العدوى إليه لكي يتمكن من مكافحة البلاء . إلا أن هذه السياسة اليقظة لم تُعْطَ فرصة الاستمرار إلا ريثما تسدل العنصر الأعجمي إلى ميدان السلطة ، فإذا هو يفرض عاداته وتقاليده والوان حياته الكسورية على حرم الخلافة ، ثم يأخذ سبيله من هناك إلى معظم الأوساط من مجتمعات المسلمين .. ثم ما هي إلا سنون بعد سنين حتى صارت الدولة كلها - كما يقول بعضهم - أعجمية الوجه عربية اللسان ..

الازياء ، والسماكين ، والأطعمة ، والفنون ، والمتع المختلفة ، حتى الأنظمة العسكرية .. كل ذلك قد استحال صورة مجسمة لأخلاق العجم ، وموارثها الاجتماعية .

وقد هب ذلك التحول الأسباب اللازمة لقبول الأفكار الأجنبية ، ليس في نطاق العلوم المادية وحدها بل في الفلسفة والأخلاق أيضاً ..

وهكذا تعرضت الدولة الإسلامية العباسية ، ثم الأندلسية فيما بعد ، لأحكام النظام الأنهي الذي حطم صروح الدول السابقة بسبب انصرافها عن الحق إلى العبث ، فزالتا كما زال من قبلهما ... ﴿ سَمِعَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ خَلْقًا مِنْ قِبَلٍ وَلَوْ كُنَّ لِنِسْئِهِ اللَّهُ لُتَبَدَّلَ ﴾ (الاحزاب : ٦٢) .

المسلم قاضٍ وشهيد

على أن تساؤل لا بد أن يتحرك في خاطر كل ذي لب بيزاء هذا التزجيت الإسلامي لصيانة الذات المسلمة من مخالطة غيرها ، هو قضاء مُلزم في كل زمان ومكان .. أم تراه ضرورة مقرنة بمواقف خاصة تزول بزوالها ، وتثبت ببقائها ؟ .

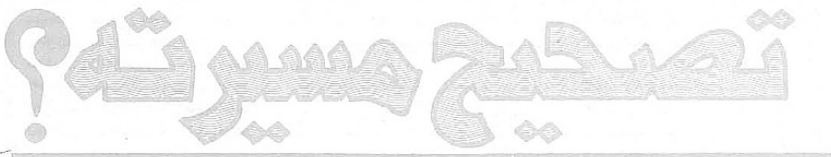
مشرك ، بعد ما يسلم ، عملاً ، أو يفارق المشركين إلى المسلمين ، وذكر أبو داود من حديث سره عنه رضي الله عنه : « من جاسع المشرك وسكن معه فإنه مثله » (مختصر وشرح وتهذيب أبي داود : ٤٢٧) .

وهكذا تتضافر الآثار من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بما لا يدع مجالاً للتردد على تحريم إقامة المسلم بين غير المسلمين ، إلا من سدت بوجههم المنافذ فلا يستطيعون حيلة ، ولا يهتدون سبيلاً .

كيف كنا وكيف تحولنا ؟

ولقد التزم المسلمون ذلك التزجيت فلم يدعوا بمجتمع الإسلام مكاناً ، واستمر هذا بعد غزوتي بدر وختمه إلى عهد عمر رضي الله عنه حيث استجبر الفتح ، وانتشرت الجيوش الإسلامية في فارس والشام ومصر ، فكان طبيعياً أن تحدث المخالطة بين جنود الفتح وطوائف الأاعجم ، وإن يطالع المسلمون على الكثير مما لم يلقوه من عادات هؤلاء وأخلاقهم وأزيائهم ، ولم يبرعهم بأساً في اتخاذ بعض هذه الأزياء ، فما إن بلغ ذلك الفارق حتى كتب إليهم : (يا أيكم وزى اهل الشرك) وبإسناد عن الثوري .. عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : (من بئى ببلاد الأاعجم ، وصنع زيورهم ومهرجانهم ، وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك ، حشر معهم يوم القيامة) . وقد تعددت موارد هذا الخبر عن عبد الله بن عمرو باللفظ نفسه وبأسانيد صحيحة ، وهو من الأخبار التي تعتبر بمنزلة الحديث المرفوع لاحتوائها على مُثَبِّب لا يُعلم إلا عن طريق الروحي ... وعقب شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية عليه - في انتقاص الصراط المستقيم ، يقول : وهذا يقتضي جملة كافراً بمشاركتهم في مجموع هذه الأمور ، أو جعل ذلك من الكبار الموجهة للكار (ص ١٢٥ و ١٩٩ - ٢٠١) .

وفي رسالة عمر رضي الله عنه إلى سعد بن ول (وترقى بالمسلمين ... ونخ منازلهم عن قرى اهل الصلح والمنة فلا يدخلها من اصحابك إلا من تلق بيده ...) (جمره رسائل العرب : ٢٢٤ / ١) ، والموثوق بدينه عند عمر هو الفقيه المدرك لخلقيات الأحداث والظواهر ، وإنما يريد



مجتمعا الإسلامى كىبىبأ و كىبىبأ قسول

هذه من التحفظ في معاملتهم ، كما يجب على القاضي العادل ، الذي يعلم أنه يعرض كرامة القضاء للهوان ، ويطمع بحيفه كل ذي ريغ ، إذا هو أطلق لنفسه العنان ، فلم يكفها عن مقاربتهم ، ولم يكفهم عن مخالطته .

هزيمة نفسية

عل أن هذا لا يعني أبداً أن يقف المجتمع الإسلامى بمعزل عن المجتمعات الأخرى في كل شيء :

فالفاس للناس من بدو ومن حضر بعض لبعض وإن لم يعلموا خدم فهناك الصلات الدبلوماسية والعلاقات التجارية ، والروابط الصناعية .. وعشرات الأسباب الدافعة إلى التلاقي .. فما موقف المجتمع المسلم من ذلك كله ؟

إن الجواب على ذلك ذو صلة وثيقة بقيمة الشخصية لدى المسلم .. فكما كان اصق تفهماً لدينه واعداداً بفضلاته كان اقدر على الانتفاع بكل ما يدير به من احوال الشعوب سليماً ويجابياً ، فمقله كمثل الجسد السليم يستحيل فيه الميكروب غذاءً نافعاً ، على حين يكون في اجسام المرضى بلاه ووباء . ولقد رأينا امثلة ذلك من احدث التاريخ ، حيث كان المسلم فوق مغريات الدنيا ، ففي ذاتيته من عناصر القوة ما يعصمه من الانحلال والذوبان في الآخرين مهما يكن شانهم . وقد تاتي من ذلك ان كان المسلمون ايماناً هم القوة الفاعلة ، وكان الآخرون في وضع المنفعل بإزائهم ، حتى إذا نظر هؤلاء إليهم ، لم يبقوا عند ظواهرهم من الزي البسيط والصور المألوفة ، بل نظروا إليهم من خلال مآثرهم ، في الاخلاق والقوى والعلم والتعلم والنبالة الفائقة ، فتموج في صدورهم الامنيات بأن يرتفعوا إلى بعض مستوياتهم الخارقة هذه .

اجل كذلك بلغ المسلمون من قوة الشخصية في الصدر الاول ، فما كان لشيء ان يصرفهم عن رسالتهم التي هي (إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ..) .

ولكن هذه القوة بدأت بالتقلص منذ اليوم الذي فتحت فيه قلب العربي المسلم لمواريت الاعاجم في طرائق التفكير وفتن اللهو . لقد نهبوا ما واجهه من هذا الجانب ، ثم اقبل عليه يُطلب فيه الفكر والبصر ، ثم ما لبث ان صار ، حتى انتهى إلى ان صار اخيراً جزءاً لا يتجزأ من حياة الكثيرين .. وبذلك اخذ الانهيار سبيله إلى شخصية الامة التي ما لبثت

ان فقدت اصالة الرؤية ، فإذا هي فريسة للتنازع الذي انتهى بها إلى النكبات المتلاحقة في كل ميدان . وفي ظل هذه الهزيمة ينبغي ان يُنظر إلى كل ما اعتدى هذه الامة من التدهور خلال القرون حتى الساعة ، فليس ثمة من نكسة او محنة تعرضت لها قط إلا ومرجعها إلى هذا الواقع ، ذلك لان وعد الله إياها بالكلاءة والنصر مشروط بمنذ اليده بالتزام سبيله ﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ (الأنعام : ١٥٣) وبعيناً يلتصم المريض الشفاء إذا هو اغفل العلاج الذي وصفه الطبيب الجرب الحائق ، ومضى على هواه في ممارسة كل ما يزيد من بلائه .

ونظرة إلى المجتمع الإسلامى المعاصر تقدم لنا الصورة الشاملة للاخطاء التي لا يبرح يتخطى في ظلها منذ وضع قدمه في المنحدر .

اول ما يواجهك من ذلك الواقع الريبغ زوال الحواجز العاصمة بين الإسلام والكفر .. حيث ترى المسلم فرداً او جماعة ، نكراً او انثى ، لا يرى اية غضاغضا في مشاركة الكافر اساليب عيشه ، بل له يرى في ذلك مدعاة للفخر ، لانه دلالة على تحرره من معوقات التقدم !

وانت لا تملك قدرة على الإحصاء لانواع المشاركة هذه ، لأن منها الظاهر الذي يطالعك في الكتاب والصحف ووسائل الإعلام المسموعة والمنظورة .. ومنها الباطن الذي يتمثل بكل ما هو اجنبى .. وإنما جاء التقليد الظاهر ترجمة لذلك الإعجاب ، الذي جره طائفاً إلى التخلي عن الكثير من مقوماته ، التي لا يكتين المسلم مسلماً إلا بها .

وعدني احذرك هنا عن ظواهر محدودة العدد من تلك المشاركات ، التي لم تعد متروكة للمصادفات يواجهها المجتمع المسلم دين قصد ولا توجه .. بل

لا مندوحة عن الاقتناع انها مرسومة في دهااليز السياسات الخفية .

[١] مدارس التنصير

منذ استقرت اقدام القورسبيين في سورية شرعوا في مطاردة الكتابيب الإسلامىة ، وجعلوا يلاحقون الصغار ليسوقوهم إلى المدارس الحديثة .. وما هي إلا اربعات حتى توارى الكُتاب نهائياً واخذت مكانه المدرسة الأجنبية .

وكناً - لقصر تجربتنا - تحكم على هذا التصرف بالخيرية ظناً منا أن الدافع إليه فقط هو حب العلم ونشره .. ولكن بطأن ما ادركن ان الغرض ابعد من ذلك ، إذ جعلنا نحس آثاره في ابائنا : بعد أن الدين ، وتعظيماً للكافرين ، وتحبيساً بمسالك المستعمرين ، الذين كان هذا دينهم في معظم بلاد المسلمين ..

ومع الاستعمار استبحرت حركة التنصير ، لأنها في الواقع سبقت الاستعمار في بعض الديار الإسلامىة ، وقد ركزت بوجه خاص على الاطفال والبنات .. واتخذت في ذلك شتى الغريات .

ولم يعد خافياً على ذي حس علم هذه التجربة ، التي تركت في اعماق الاجيال ابلغ الآثار ، وخاصة في مشاعر الانتقام الذي زلزلته التربية الأجنبية ، فاخرجت المسلم من كيان جماعته ، وسلخته من خصائصها ، فبهات لقبول اي ليس ، ولعل كثيرين لسوا مثلنا بعض نتائج هذا الفصام ، في سلوك الناشئين بأحضان هذه ، المسالخ ، إذ اصبحوا اقرب بوجهيهم منهم إلى ذويهم ، وحسبي هنا ان امثل لذلك بحدائين اثنين :

اما احدهما فيوم سمعت طفلة في حوالى العاشرة تحلف بالعزراء والصليب ، فسالت

■ لا نقول بمنع الابتعاث إذا كان هناك ضرورة له ، وإنما نقول بوجود تحصين البعثات ضد السموم التي اثلقت الكثير من انسجة الحياة في أجبالنا ■

■ كثير من الولايات التي تصيب عالم المسلمين اليوم سببها البعثات العسكرية التي ذهبت للتدريب على فنون الحرب فغسلت أدمغتها وعادت إلينا تحمل قيم القوم وتحارب الإسلام وأهله ■

وما السبيل إلى تصحيح مسيرته؟

■ كلما كان المسلم أعمق تفهماً لدينه واعتداداً بفضائله كان أقدر على الانتفاع بكل ما يمر به من أحوال الشعوب سلباً وإيجاباً : ففي ذاتيته من عناصر القوة ما يعصمه من الانحلال والنوبان .

■ مع شمول الخطر التنصيري للجنسين من أبناء المسلمين فقد ضوعف اهتمامهم بالأنثى : لأن إنشاء الفتاة المسلمة على طرائقهم هو السبيل الأقرب لتخريب الكيان الإسلامي .

عنها فإذا هي من أسرة مسلمة ولكنها شئت على مناهج المضطربين .

وإما ثاني الحادتين ففي كادام موظف كبير في وزارة المعارف ، وقف ذات يوم في حشد من مرووسيه يحاضرهم عن التربية ، وكان مما قاله : أهم واجبات المدرس إزالة الحاجز الطائفي من بين التلاميذ ، حتى لا يشعر أحدهم بعازل روحي عن الآخر .

ضروب للسامعين المثل التالي فقال : كنت وزوجتي في سياحة باليونان ، فلاحظت تحديق الناس بالمصحف الذي تحمله في قلابتها ، فعارضت بين سبائتي وراحتي حتى أشبها الصليب ، ثم جعلت أقبله لأشعر القوم أننا لا نفرق بين المصحف والصليب ، بل نحترم كل من الإثنين على سواء !

وما أرى حاجة للكلام عن خلفية كل من الحادتين ، فهي إحدى ثمرات المناهج التنصيرية ، التي خربت البيت المسلم في صميمه ، فقلعت وشائج ، وجردته من كل حصانة ضد الفسادات المهدمات ..

ومع شمول الخطر التنصيري للجنسين من أبناء المسلمين ، فقد ضوعف اهتمامهم بالأنثى على وجه الخصوص ، وأعلنوا في مؤتمراتهم السكونية أن إنشاء الفتاة المسلمة على طرائقهم هو السبيل الأقرب لتخريب الكيان الإسلامي بأسره^(١) .

اجنبية يجدون عندها كل ما يعوزهم من الطعام والملام والكلام ..

في هذا الجو الغريب يدرب الطلاب المسلم على ما لم يلقه من الأخلاق والسلوك وكل ما يراد له من أنواع التغيير ، وقد وصف ذلك أحدهم في وثيقة مع أحد الذميين في برنامج (على الناصية) سألته الذميع : أراك مسرعاً فإلى أين ؟

— إلى مكتب الخطوط لتأمين سفري إلى أميركة .
— الأول مرة هذا السفر ؟
— كلا .. بل إنا هناك من سنين إداريم على الدراسة .

— هل لك أن تحدثنا عن حياتك في أميركة .. كيف استقبلتها أولاً وكيف أصبحت أخيراً ؟

— لقد استأجرت سكتاً لدى إحدى الأسر الأميركية ، فعانيت الأمرين من اختلاف العادات بيني وبينها ، ولكن هذه الوحشة ما لبثت أن تبخرت يوماً بعد يوم حتى اسميت واحداً منهم ..

وطبيعي أنه لم يصر (واحداً منهم) إلا بعد أن نحتحت الأسرة في ترويضه على طريقتها في الطعام والشرب والسلوك الاجتماعي .. وللأمر، أن يتصور المصر الذي سينتهي إليه يوم يعود إلى أهله ويده .. وبياة عين سيطرنا إلى اخلائنا وتصرفنا ، المغايرة لكل ما نشره في ذلك الوسط البعيد !

[٤] البعثات العسكرية

ولهذه البعثات حديث لا يقل طرافة عن أخبار التنصير والترويض والتغريب ، التي كتبت على أبتائنا وبناتنا أن يخوضوا غمارها دون أية حصانة سابقة .. واقتصر من موضوع هذه البعثات على الكلمة التالية أنقلها من ترجمتي للمفكر الإسلامي المعروف اللواء محمود شيتت خطاب في كتابي (علماء ومفكرون عرفتهم) (ص ٢٦٠ - ٢٦١) قال في اللواء وهو يحدثني عن بعثته إلى بريطانيا : (... من المألوف أن يتولى مساعد الكلية قديم الضباط القادمين من وواء البحار إلى عبيدها عتيق وصولهم . وكان هذا العميد أحد أبطال العبور إلى النورماندي أثناء الحرب العالمية الثانية ، فجعل يسأل كل منا عما عن حاله ويده و ... وجاء دوري فسألني : لماذا قدمت ؟ قلت : لتجديد معلوماتي العسكرية .. فعُلبت على كلامي متهمكاً ، بل قدمت لمغازلة الفتيات ..

وتكلمت غيظي وقلت في نفسي : إن هذا يحكم على بما شاهدته في سواي . ولما ذهبت إلى السكن المخصص لي وجدت فراشاً وثقاة تعمل في ترتيب

يقال : إن ولد فلان أو أولاده يتلقون دراستهم في أميركة أو بريطانيا أو ألمانيا أو موسكو ! .. ثم ليكن عتب ذلك ما يكون من شيايعهم أو فسادهم ، أو تنكروهم لقيم أمهم ..

وتحن لا ننكر أن بين هؤلاء المُرغبين عناصر كريمة استملعت الحفاظ على ذاتيتها ، فهي في اللهب ولا تحترق .. بل لها زادت ألفاً وصفاً عما كانت عليه في بلدها ، ومرر ذلك إلى عناية الله التي ترلثها بالرمية ، واحاطتها بالعداء الهداة ، الذين نثرهم الله في مختلف الموان . كما نثر الكواكب في أنحاء السماء . يضيؤون ويعلمون ويرشدون .. يعلنون في مهاجرهم كلمة الله ، ويرفعون راية الإسلام خفاقة في الشعوب ، التي لم تكن تعلم شيئاً عنه ، إلا عن طريق الأناقين الأفانكين من أعداء الحق والخير ..

والمثال في واقع هؤلاء الفتية المرابطتين في الغرب لا يتماك من الدهشة تملأ صدره وهو يرى إلى جهادهم المبرور في خدمة إخوانهم المبتعثين من أبناء الإسلام ، وفي تعريف غير المسلمين بما جعلوه وما هم في أمس الحاجة إليه من أنوار هذا الدين . إنهم بهذا الجهاد الدائب ينهضون متطوعين بالأعباء التي هي من واجبات الدول الإسلامية كلها ، لا يريدون عن ذلك جزاء ولا شكوراً .. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ولا يبسرره إلا لمن أعطى واتقى وصطفى بالحنسنى ..

[٣] الأصدقاء الأنداء

ولكن أبتائنا المبتعثين للدراسة لا يكادون يطؤون أرض الغرب حتى يجدوا أنفسهم تلقاء (أصدقاء) متطوعين لاستقبالهم وتأمين راحتهم .. وأولى الخدمات التي يقدمونها إليهم إنزالهم على أبرز

[٢] الهجرات الدراسية

وحاجتنا إلى علوم الغرب أكرهتنا على الهجرة إليه ، ثم استحالت الحاجة إلى ضرب من التعجيد ، ودفع الكثيرين إلى تغريب أبتائهم لا ابتغاء العلم ، بل منانسة على الشهرة ، فليس بالقليل من نظيرهم أن

غرفة نومي ، فانتظرت في البهو .. حتى إذا خرجت ، سألتي : هل لديك من توجيهات ؟ .. قلت : شيء واحد هو أن تحضري لاداء مهمتك اثناء غيابي فقط ..

واقبل المكلف بإعداد الطعام يسألنا عن الالوان التي نريد ، فعددت له المحرمات التي ارفضها ، والالوان التي ارتغب فيها .. بخلاف ولهاقي الذين أتروا الاندماج معهم في كل شيء . ويقول الواء : كان الفرائش على طبع زيارة منزله كما يفعل زملائي في التردد على مساكن فرائشهم ، فازدعتني بلطف ، لاني على يقين انه وسائر الخدم المخصصين لنا ليسوا سوى جواسيس ومجسبين . وذات يوم جاني العميد .. وفي ادب بالغ يعرض علي مرافقة في زعامة بين الآثار . وهناك بارديني بالاعتذار عما اسمعني في لغتنا الولى . مؤكدا لي العميق من احترامه وتقديره ..

واكتفي بهذه الصورة المصغرة لارواح لا تتسع لها الصفحات الكثيرة . ولنتساءل ، كم بين تلك البعثات من رجال استماعوا ان يقفوا موقف الضابط الاسلامي ، ويفظفوا من عمداتهم بمثل التقدير الذي استحقه من ذلك العميد الداهية . واقع المسلمين الذين يقبض على مقرراتهم تلك الايدي التي تلقت تدريبا وتكريها في امثال تلك البعثات .. ولو نسي المسلمون كل مأسسيهم لا يحق لهم ان ينسوا بعد ان الانقلاب الماركسي الذي يستهدف اقتلاع جذور الاسلام من ارض الافغان . إنما جاء به جنود ابعثوا لي موسكو للقدرب على فنون الحرب ، ففُسلت ادمتهم هناك من قيم امتهم ، وعوضوا عنها بفضا لا يبروه إلى القضاء على كل رجال الإسلام . وكل فضائل الإسلام .

إنها قضية الإسلام

هذه الحقائق اشهر واكبر من ان تكابر أو تنكر ، فهي بمرأى وسمعم من كل ذي بصير . يشهدنا حيث مضى أو اقام من بلاد الإسلام .. ولئن الفها الاكثرين حتى باتوا منها كالأجرب الذي يمزق جسده بانفازره دون ان يفكر في عواقب افعاله .. ان أولى الرعي من المسلمين هم الذين يقربون مسؤوليتهم بزائنها . لانهم يدركون ما وراء تعالهاها والسكوت عليها من سوء المصير ..

ولكن .. ما الذي يستطيعه هؤلاء لوقف القطار الزاحف نحو الهاوية ؟ .. حقاً إن الموقف لمحير بل

مذهل ، فالزمن يجري بسرعة ، والأفرض تنقلت بغير توقف . ويكل تردد في بذل المحاولات الممكنة مغيب للندم اللاع ..

وليسست القضية قضية شخص يهلك ، أو طائفة تنتشر . كما فعل مئات من جماعة (معبد الشعب) في (جيز تارين) ولكنها قضية الإسلام التي لم يبق سواء موتلاً لأهم العالم ، التي فقدت الدليل الهادي إلى طريق الخلاص .. افبكتني أول الرعي هؤلاء الدموع يذرفونها ، والدعوات يرفعونها ، دون ان يلوحوا بروايات الخطر لتحذير الركب الغافل من النهاية الرهيبة !..

إن على هؤلاء ، في أي موقع كانوا من سفينة الإسلام . ان يندردوا قومع ، فيصيروم باقهم الذي يجهلون ، وبالجماع التي هم عليها مقلوبن .. لقد حذر رسول الله ﷺ كل مسلم خطر الإقامة بين اظهر المشركين . ايام لم يكن للإقامة سوى صورة واحدة هي مخالفتهم قضية ان تسدي عوادم إلى اخلاق المسلمين .. اما الآن فقد تعددت صور الإقامة حتى تجاوزت الإحصاء .. فمدارس التنصير دار إقامة للفنى المسلم والفتاة المسلمة ..

والهجرات الدراسية إلى ربوع الكافرين دار إقامة للباطل على اختلاف مسمايتها اشكال مختلفة والبعثات على اختلاف تفرد البلد المسلم . والنفس المسلمة ، ملفوفة بأشرطة السينما ، أو في مسرحيات التلفاز ، أو الفيديو .. والمؤلفات المنفوسمة بمفريات الجنس .. والتتميطيات الإذاعية المحشوة بسوموم الفساد الرقبي ..

كل ذلك وامثاله مما عهد ومما لم يهد بعد ، صور للإقامة المنطوية تحت تحذير رسول الله ﷺ ، والشموقة ببرامته صلوات الله عليه وسلام من اصحابها .. ما دامت مفتوحة التوافق لتسرب الوبئة ، التي توشك ان تأتي على البقية الباقية من الحوافر المعاصرة لذات المسلمة ..

ورب معترض يقول : ولكنها الضرورات تبيح المحظورات .. ولا ضرورة في هذه الأيام اكبر من الانتفاخ بسبقنا إلى الغرب في حلبات العلم والصناعة .. فهل يرضى الإسلام لنا ان نظل في أواخر الركب البشري محرومين من كل اسباب التقدم ؟ ..

والحق ان هذه إحدى المغالطات .. لان الإسلام عندما يظفر على المسلم الإقامة في اوساط المشركين إنما يريد حمايته من الانحلال والذوبان في غيره من

الاقوام الذين زانت بهم الهموم من طريق الله . وقد عرفهم ما علوا من ظواهر الحياة الدنيا ، فهم لا يفرقون بين حق وباطل . ولا حرام ومحل . واستهوتهم الشهوات حتى اصبحت الامسل الذي ينهض عليه وجودهم كله .. واي براه يمكن ان يهدد كيان المسلم اكثر من ان يافق هذا السلوب المتأني لكل ما تورثته الإنسانية من تعاليم الله !..

ويشى في الوقت نفسه ذلك النذير الإلهي الذي يقرؤه في كتاب ربه : **﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشُّهُوتَ أَنْ لَا يَمْلِكُوا سُلْطَانًا عَظِيمًا ﴾** (النساء : ٢٧) .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ دَبَّرَ آيَاتِنَا وَيَهَى فَاغْرَضَ عَنَّا وَشَيْئًا مَا كَفَرَتْ يَدَاؤُهُ ﴾ (الكهف : ٥٧) .

الطريق الصحيح إلى التصحيح

على ان إقحام كل شيء في نظام العلم والصناعة مغالطة اخرى ، وألأ فاشان الفنون الثيرة للفراغز البيعية في العلم والصناعة ؟ ..

هذا مع التذكير اننا لا نتنكر للفنون . لاننا نعلم ان النفس البشرية مطبوعة على طلب الجد واللهو . ولكننا نؤمن ان لكل أمة فننها ولهاها . والفنون الإسلامية لا بد ان تكون منبثقة من صميم التصور الإسلامي ، فطبيعي ان تمتاز بلون القضية والاختلاف اللقطة بروح الإسلام .. فنتظهر اجيزة الإعلام إذن من تلك الفنون الدخيلة المغايرة للقيم الإسلامية واجب لا مندوحة من تحقيقه إذا كنا نؤمن بالله واليوم الآخر .. ومرفوض كل ادعاء يزعم اننا عاجزون عن تقديم البديل الإسلامي المتسع النافع ، فالعلم المؤمن لا يزال يمدد الله قادراً على العطاء على كل ما لذ وطاب .. ولن يعوزه لاداء ما عليه إلا ان يقسم له المسؤولون عن اجيزة الإعلام مجال العمل والإنتاج ..

ومثل ذلك يقال في مدارس التنصير ، فما دعنا نذكر كيف أنها البؤرة المفسدة للأجيال فلا بد من مقاطعتها ورفع برائتها عن اعناق ابائنا وبناتنا . ثم تحويلهم إلى مدارس إسلامية تسد فراغها . بل تنقوها بكل الاسباب المؤدية إلى التلوق ..

اما الهجرات الدراسية والبعثات الاخرى .. فلا نقول بمنعها البتة ، ما دام ثمة ضرورة لها . ولكننا نقول بوجوب تحصينها ضد السموم التي اطلقت الكثير من انسجة الحياة في اجيالنا حتى الآن .

(١) راجع كتاب (التبشير والاستعمار) للدكتورين عمر فروخ ومصطفى الخالدي .